

رهانات السعودية الخاسرة في شرق الفرات السوري



أيهم الطه

لا شك أن من حق كل دولة البحث عن توسيعة نفوذها ومدى تأثيرها إلى ابعد مدى ممكناً اقليمياً ودولياً ، بما يضمن لها مصالحها ويزيد في قوتها ، و يحفظ منها الحيوي وال استراتيجي ، لكن المخطط الحكيم هو الذي يبحث عن حواجز حقيقة ومستدامة لهذا النفوذ حتى لا يكون أني وينعكس سلباً فتأتي النتائج مغايرة لما هو مطلوب .

إن غياب الرؤية الإستراتيجية الحكيمة والإنشغال بالألعاب صبيانية المتهدمة بعيدة عن التفكير السليم والمنطقي ، و التي تجلب الخراب والفساد أكثر مما تأتي بالأرباح والاستقرار ، ولذا فالمحاولات غير المحسوبة القائمة على الهوى والضلالة الإستراتيجي و الجهل التاريخي والسياسي والجغرافي ، لن تأتي سوى بالمشاكل والخسائر و تراكم المزيد من الظلمات ولنا في حرب اليمن مثل قريب واضح ، و تجربة لائزال ماثلة أمامنا بقصها وقضيتها ، فلماذا الإصرار على إعادة إنتاج التجارب الفاشلة ولماذا الإصراء إلى التضليل الأمريكي والإسرائيلي ؟!

أمريكا و إسرائيل تبتز حلفاؤها وتستهلكم "، قوة ، و قدرات ، و موارد وحتى (سمعة) و إرث ، و تاريخ " حتى إذا بدأ الإنهايار تركوهن يغرون وحدهم وابتعدوا عنهم ، و ما شاه إيران وما حدث معه منا بعيد إذ لم يحميه حلفه الأمريكي و لا الحرس والحماية الاسرائيلية المباشرة.

لماذا تصر قيادة المملكة العربية السعودية على اتباع طرق مسدودة معروفة النهايات ؟! لا نريد هنا أن نصح أخطاء أحد أو نقيل عثرات الآخرين لكن التدخل السلبي الخليجي منذ بداية الأزمات

السورية لم ينتج سوى المزيد من المأسي و الكوارث و ما اتمناه الا نكون امام تصنيع المزيد منها . لا يستطيع عاقل التشكك في الترابط الذي يجمع المملكة العربية السعودية بسوريا ، و لا نستطيع هنا سوى الترحم على ايام محور الـ سـس وما ضمنه من مصالح حيوية للدولتين ، حيث مثل أحد المحاور الفاعلة و الناجحة في المنطقة ، كما أنه شكل طوق نجاة للمنطقة و حاجز حماية صانها لعدة سنوات .

المملكة وخلال السنوات القليلة الماضية اختارت التدخل في سوريا عبر مجموعة من الوكاء المحليين الفاشلين الذين اثبتت السنوات الماضية انعدام واقعيتهم و قلة خبراتهم وتجاربهم وتأثير انتماءاتهم الأيديولوجية ومصالحهم الشخصية على تصرفاتهم ويبدوا أنها هذه الفترة تحاول تصنيع مجموعة جديدة من الوكاء .

وحتى لا نتشعب كثيراً فما يعني هنا هم الوكاء الجدد في شرق الفرات وحيث اعتمدت المملكة في السابق على مجموعة من شخصيات المنطقة بخلفيات دينية وسياسية معينة الا انها ومنذ عام 2017 تحاول ان تصع موطن قدم عبر وكلاء جدد عبر توطيد علاقتها مع قسد بشقيها العربي والكردي مدفوعة بعدائها لتركيا من جهة ومحيرة على مساعدة حليفها الأميركي من جهة أخرى وراغبة بالعثور على يعزز نفوذها أمام المد الإيرلندي الذي طوّقها من جميع الجهات و هو مالم يكن في حساب المملكة عندما كانت تقف في صف داعمي الحرب على سوريا وعندما دعمت ومولت وسلحت الفصائل الجهادية فيها .

ولاشك أن خسارة سورية خاصة وبلاد الشام عامة تعتبر موجعة للملكة التي لم تضع في حساباتها أن دمشق ستخرج من النيران التي أحاطت بها ولكن لابد أن تراجع المملكة حساباتها جيداً وتعيد النظر في الخارطة اليوم وفي ميزان القوى الموجودة على الأرض لتبني سياسة أكثر اتساقاً مع عروبتها وانتمائتها التاريخي وأكثر وعياً ، ونضجاً ، وحكمة واتزان وتجد الطريق الأسلم للوصول إلى دمشق بعيداً عن المناكفات والعنترات والأوهام التي سادت خلال السنوات الماضية .

تبث السعودية عن موطن قدم في سوريا لمنافسة الوجود الإيراني وهذا أمر يبدو شبيه مستحيل في الوقت الحالي مهما انفقت المملكة من أموال أو أرسلت من وفود أمنية وعسكرية إلى المنطقة أقله ليس عبر الطرق والقنوات التي تسلكها المملكة اليوم والتي تصلها مع تلك ابيب أكثر ما تصلها مع العالم العربي وسوريا ، ليس لأنها (المملكة) لا تمتلك القدرة الفنية والإمكانات اللوجستية والعناصر البشرية القادرة الكفؤة لذلك فحسب بل إن الحساب المنطقي يكشف أن السعودية قادرة فقط على ضخ المال - كما قال الرئيس الأميركي - وهذه وحده غير كافية في معركة كبيرة ومتشعبه وتحتاج إلى تحطيط واستراتيجية وخبرة تفوق خبرة إدارة جعلت من إعدام أحد مواطنيها فضيحة عالمية.

فالbattle في سوريا هي معركة معلومات وخبرات وتقنيات وجيوش بأحدث المهارات والتسلیح ، لكنها في المقام الأول معركة هوية ووعي وإنتماء إلى ثوابت المنطقة و تاريخها وسياقها الحضاري والبشري. السعودية فشلت في قراءة المعطيات الموجودة على الأرض حين اختارت شرق الفرات مدفوعة بالتضليل الأميركي - الإسرائيلي فمن الواضح أن الجميع في المنطقة يتوجه نحو المحور الروسي - السوري - الإيراني

-العربي وهذا بدا جليا في اجتماع شيوخ عشائر الجزيرة في ايران وميلهم نحو دمشق ، كما بدا ان قسد تسير بهذا الإتجاه وإن كان بخطى متئقة.

فلا قوات قسد التي تدعمها الولايات المتحدة و السعودية قادرة على الصمود لفترة طويلة مع كل المشاكل التي تواجهها على الأرض ولا قوات الحلفاء الغربيين قادرة على حماية المصالح السعودية في سوريا و هي ستبقى مكشوفة إن تمكنت من البقاء اصلا ، وهذا ما اثبتته تعرض حقل العمر النفطي -الذي يضم جنود وخبراء أمريكيين وسعوديين - لقصف بصواريخ الكاتيوشا قبل ايام .

كما ان تشكيل قوات عربية ذات قوة حقيقية في شرق الفرات هو شبه مستحيل أقله في الوقت الحالي لأن القيادة الكردية ترفض ذلك من جهة و لأن التحالف الغربي لا يثق بممثل هذه القوات من جهة أخرى كما أن التحالف الغربي نفسه فشل خلال ومنذ عام 2011 في تشكيل قوة عربية ممكناً التعويل عليها في المنطقة . فضلا عن عدم قدرة المكونات المحلية أقلها في الوقت الحالي على تشكيل اي جسم حقيقي واعي ، و قادر على الصمود وقبل للحياة بسبب التفتت الداخلي والصراعات العميقة بين مكونات المنطقة و هذه الصراعات تمتد الى داخل الهياكل القديمة في المنطقة كالعشائر او التشكيلات العسكرية التي كانت موجودة ما بين 2011 و 2014 وما على القيادة السعودية ان تعيه ان شرق الفرات يعاني من حالة فراغ فوضى وتشظي يسترها ثوب رقيق من الوجود الغربي و الدعم المالي .

فالقوة العشارية المتبقية هي غير مسيطرة و متعددة الولاءات ولا تجمع بينها رؤية او منظور واحد او تحمل مشروع معين وهي تعاوني من الضعف و غياب التنسيق وتعرضت لكثير من الأزمات والصراعات التي اضعفتها كما ان اتجاهاتها السياسية متعددة وغير قادرة على إنتاج رؤية موحدة .

فضلا عن وجود خلايا فاعلة من تنظيم الدولة الذي لايزال يمتلك الكثير من اوراق القوة في المنطقة و هي موجودة وفاعلة ومؤثرة ولا تزال ترهب خصومها وي Pax لـ لها الكثير من ابناء المنطقة ، و حتى قسد تعني ذلك وتأخذه بعين الاعتبار أثناء تحركها .

كما ان قوات قسد ذاتها وكجسم سياسي تعاوني من أزمات داخلية متعددة فالقوى الموجودة ليست واحدة او متجانسة و أغلب منتسبيها هم من الذين دفعتهم الحاجة المادية و أغلب الفئات الشعبية العربية في مناطق قسد غاضبة من التسلط الكردي فضلا عن المشروع واهن ودون حواجز مادية او معنوية ، وسيسقط مع توقف الصخ المالي و خروج القوات الأجنبية .

السعودية التي أرسلت السبهان أكثر من مرة الى شرق الفرات وأعلنت دعم قسد بـ 100 مليون دولار و ارسلت العديد من الوفود الأمنية والعسكرية الى المنطقة فضلا عن خبرائها ومقاتليها المتواجدون حاليا في عدة مناطق من شرق الفرات كما انها استقبلت اخيرا السيد غسان اليوسف رئيس مجلس دير الزور المدني الذي زارها في اواخر نوفمبر / تشرين الثاني تحاول جاهدة تمكين تواجدها و مد نفوذها للاستمرار كطرف مؤثر في المعادلة السورية تتجاهله عن عمد انها تسير فوق رمال متحركة .

حتى الامريكيين او السيد غسان اليوسف يعجزون عن السير ليلا في المنطقة التي يدعون حكمها متناسين

أنها تحولت الى أراضي را فضة لهم وأهالي يتربصون بهم فضلا عن المشاهد المذلة التي تعرض لها الجنود والأليات الأمريكية وهم يرشقون بالحجارة و يواجهون اهانات الأهالي اضافة الى الاستهداف شبه اليومي الذي يطال كل من يتعامل معهم .

لكن يبدو ان القيادة السعودية لم تعي درس اليمن جيدا ولا تزال مصرة على إضاعة أموالها في رهانات خاسرة .

كاتب سوري